**ثالثا. المدرسة النسقية كوبنهاقن(يلمسلاف)**

**توطئة**

ظهرت مدرسة كوبنهاقن مطلع القرن العشرين متأثرة بالمفاهيم الجديدة التي جاء بها ديسوسير، مؤسسها دانماركيون، حاولوا التجديد في طريقة دراسة اللغة معتمدين في ذلك الدراسة العلمية، وقد وظفوا في بحثهم اللساني العناصر اللغوية في شكل رموز جبرية ذات سمة رياضية، واستعملوا التراكيب اللغوية في شكل معادلات رياضية، الأمر الذي أثار نقد اللسانيين والمفكرين الفلاسفة. رائد هذه المدرسة هو لويس يلمسلاف (ت 1965)، صاحب النظرية البنيوية التحليلية(الرياضيات اللغوية) وقد بناها على مقدمات منطقية ومبادئ معرفية تفسيرية[[1]](#endnote-1)1.

**1. مبادئ المدرسة**

حرص يلمسلاف على وضع نظرية بنيوية علمية وصفية شمولية للظاهرة اللغوية تعتمد على المبادئ التالية:

**1.1 مبدأ التجربة:** التي تتم عن طريق الملاحظة والتجريب والجمع بين ثلاثة معايير(اللاتناقض، الشمولية والتبسيط).

**1.2 مبدأ الإحكام والملاءمة:** يجعل النظرية متّسقة نتائجها متلائمة مع مقدماتها المنطقية، ونجاعتها تتوقف على مدى خضوع مقدماتها لشروط التطبيق في إطار المعطيات التجريبية[[2]](#endnote-2)2.

وانطلق يلمسلاف من «حقيقتين ديسوسيريتين جوهريتين هما:

* اللغة ليست مادة بل شكل.
* تباين اللغات بعضها عن بعض من حيث المستوى التعبيري والمحتوى.

فكل لغة تتكون من هذين المستويين، يعني أنها مجموعة أدلة ذات مظهرين: مظهر صوتي وآخر دلالي؛ يتكون المستوى التعبيري من الأصوات المنتقاة، لأجل إيصال الأفكار، وهو المستوى الخارجي للغة المشترك بين الألسن، أما مستوى المحتوى فيضم الأفكار الموجودة في اللغة»[[3]](#endnote-3)3.

**2. منهجها في الدراسة**

بلور يلمسلاف نظريته العالمية الجديدة التي عرفت ب(الغلوسيماتيك)[[4]](#endnote-4)\*، نظرية تتجنب البحث اللساني المتأثر بالفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيات المقارنة، فهي نظرية تهدف إلى إنشاء لسانيات علمية مبنية على أساس رياضي، منطقي وكلي في وصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها تفسيرا موضوعيا[[5]](#endnote-5)4. وقد قال يلمسلاف في هذا السياق: «إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي يمكِّن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل. إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية والتعريفات والنظريات المُحكمة التي تمكِّن من إحصاء كل إمكانيات التأليف بين عناصر النص الثابتة»[[6]](#endnote-6)5. فالغلوسيماتيك مصطلح مشتق من الكلمة الإغريقية (glossèmes) بمعنى الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة وتنقسم إلى قسمين:

* وحدات التعبير وتدعى"سونام" les cenemes.
* وحدات المحتوى وتدعى مضامين les pleremes.

فالوحدات ذات المحتوى مثل(مورفيمات) في مدرسة براغ Morphèmes ، أو (لفاظم) Monèmes في مدرسة جنيف أصبحت كلها تدعى"مضامين" أو مكونات دلالية pleremes[[7]](#endnote-7)6. ومثلما استطاعت المناهج البنيوية أن تحلل الألفاظ (أي مستوى الشكل) إلى أصغر الوحدات غير الدالة، وغير القابلة للتقطيع( الفونيمات) ، يمكن للدلالي أن يجزّئ المستوى الدلالي(المحتوى) إلى أصغر القطع التي لا يمكن تحليلها ، وقد سمى يلمسلاف هذه المرحلة بالسمات المعنوية أو الرموز[[8]](#endnote-8)7. وقد فرّق يلمسلاف في إطار(مستويي التعبير والمحتوى) بين المادة والشكل كما يوضحه المثال الآتي(المخطط-1-):

امرأة

التعبير المحتوى

مادة شكل مادة شكل

الأصوات في (ا- م- ر-أ- ة) الجنس الإنساني إنسان عاقل

ماهيتها الفيزيائية حروف الكلمة كما المقابل للرجل مؤنث

(الدليل الصوتي) تواضعت عليها الجماعة

**المخطط -1-**

حيث تشير:

* **«مادة التعبير**: إلى المادة الصوتية العضوية(فيزيولوجية كانت أو فيزيائية)التي تمكِّننا من التعبير.
* **شكل التعبير**: يرمز إلى عملية إنتاج الأصوات اللغوية وتأليفها ذهنيا ونفسيا للتعبير عن الوحدات اللسانية اللغوية.
* **مادة المحتوى**: تعكس لنا الأشياء التي نعرفها حقا ويمكننا التحدث عنها.
* **شكل المحتوى**: إلى عملية تثبيت هذه المعارف عن طريق الوحدات الصوتية/ اللغوية التي نمتلكها، والمخزَّنة في النظام اللغوي لكل أمة»[[9]](#endnote-9)8.

والجدير بالذكر أن يلمسلاف ركز اهتمامه على الجانب الشكلي للمحتوى والتعبير، وأهمل المادة مادامت متغيرة بينما النظام اللغوي ثابت، ومن هنا كان الدليل اللغوي عنده هو ما تضمن إشارة إلى شكل التعبير، وشكل المحتوى[[10]](#endnote-10)9، ومن ثم وسّع مفهوم الدليل اللساني لديسوسير، حيث نظر إلى اللغة على أنها شكل لا مادة، مُبعدا الجوانب الصوتية والدلالية الأخرى عن مجال الدراسات اللسانية على النحو الآتي(المخطط-2-)[[11]](#endnote-11)10:

تعبير محتوى

مادة شكل شكل مادة

دراسة صوتية دراسة ألسنية دراسة دلالية

**المخطط -2-**

وما يهم في هذه النظرية ليس الأصوات والحروف والمعاني في ذاتها بل علاقاتها المتبادلة في إطار السلسلة الكلامية والنماذج النحوية، فهذه العلاقات هي التي تصنع نظام اللغة الداخلي، الذي يميز لغة ما عن لغة أخرى. وحينما نظر ديسوسير إلى اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، تبعه في ذلك يلمسلاف باصطلاح (المحايثة)[[12]](#endnote-12)11 l'immanence عكس التسامي.

كانت مدرسة كوبنهاقن امتدادا لمدرسة براغ وللاتجاه البنيوي تأكيدا لفكرة سوسير في إعطاء الأولوية للنظام والنسق على باقي العناصر. ويرى التابعون لمدرسة كوبنهاقن أن علم اللغة نظير المنطق، وأن البنية اللغوية عندهم كيان صوري مستقل مجرد يشتمل على نوع من المعادلات الجبرية اللغوية بعيدا عن المعاني وعن الأصوات، ولذا قرر يلمسلاف بأن اللغة كيان حر ذو علاقة داخلية، ووضع مقابل ثنائية سوسير اللغة/ الكلام تصوره عن اللغة بناه على ثلاثة أسس:

* الهيكل: يمثل اللغة باعتبارها شكلا صوريا نموذجيا في الوقت ذاته.
* القاعدة: تمثل اللغة بوصفها شكلا ماديا يستخدم للتكلم.
* الاستعمال: يمثل اللغة باعتبارها مجموعة عادات خاصة بالمتكلمين.

فالهيكل يقابل اللغة عند سوسير ، بينما الاستعمال يقابل الكلام عند سوسير[[13]](#endnote-13)12.

يبدأ المنهج الغلوسيماتي في تحليل اللغة من الوحدات الكبرى ثم الصغرى، فالأصغر منها، وهو منهج يتناول النص المكتوب أو المنطوق، ويحلله تدريجيا إلى فصول وفقرات وجمل ومفردات، وحروف وأصوات.

والهدف من هذا المنهج هو الوصول إلى إرساء قواعد كلية خاصة باللغة عموما تعتمد في التطبيق على صياغة الفرضيات الموضوعية، وعلى الحقائق أو القوانين التجريبية.

إقحام الجبر والمعادلات الرياضية في منهج هذا المدرسة جعل طريقتها تبدو غامضة، الأمر الذي شكّل نقطة ضعف في هذه المدرسة، فلم تلق قبولا واسعا في ساحة الدرس اللساني[[14]](#endnote-14)13.

1. 1 ينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى 2008، ص ص 78، 79. [↑](#endnote-ref-1)
2. 2 ينظر: أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2002، ص ص 163- 164. [↑](#endnote-ref-2)
3. 3 شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر بيروت- لبنان، ط1 2004، ص ص21، 22. [↑](#endnote-ref-3)
4. **\*** **الغلوسيماتيك:** مشتق من الكلمة اليونانية glosa)) بمعنى كلمة أو لغة، ومنها كلمة glossary)) بمعنى قائمة مفردات، ويترجمها بعض الدارسين بالعربية باسم" التعليق". ينظر: د.كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992، ص60. [↑](#endnote-ref-4)
5. 4 ينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 80. [↑](#endnote-ref-5)
6. 5 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص159- 160. [↑](#endnote-ref-6)
7. 6 ينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص ص 80، 81. [↑](#endnote-ref-7)
8. 7 ينظر: ميشال زكريا، الألسنية، علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط2 1983، ص187. [↑](#endnote-ref-8)
9. 8 شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص ص 23، 24. [↑](#endnote-ref-9)
10. 9 للتوسع في هذه النظرية يرجى مراجعة جفري سامسون(المدارس اللسانية) ص177، وأيضا ميشال زكريا(الألسنية-علم اللغة الحديث) ص188. [↑](#endnote-ref-10)
11. 10 ينظر: المرجع نفسه، ص ص 24، 25. [↑](#endnote-ref-11)
12. 11 وجهة اللسانيات" المحايثة" : عبارة عن نظام تحليلي لغوي مستقل عن الظواهر غير اللغوية متحرر عن الفيزياء والفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماع. ينظر: أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 161- 162. [↑](#endnote-ref-12)
13. 12 ينظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص ص 81- 83. [↑](#endnote-ref-13)
14. 13 ينظر: المرجع نفسه، ص 84. [↑](#endnote-ref-14)